التركمة الكاملة





ذكريات

شارلوك هولمز

تأليف : آرثر كونان دويل

لغز الرجل الأحدب

The Crooked Man

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند تموز 1893

ذكريات



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ISBN 978-9933-14-810-2



رواد المعرفة للنشر والتوزيع
دولة الكويت - جوال: 0096590088113
Email: rawadalmarefa@hotmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز

The Crooked Man

لغز الرجل الأحدب

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

8

ذكريات شارلوك هولمز

The Crooked Man

لغز الرجل الأحدب

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
تموز 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةُ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقليـة، وتفكـيره مـن أجـل الوصـول إلى حـل كل لغـز اشـتركت فيـه. وكأنَّهـا (أي شـخصية هولمـز) كانـت تحث القـارئ دومـاً وتحفـزه للوصـول إلى الحقيقـة، أو حـل اللّغـز المطروح بشـكلٍ يجعل القـارئ يضطر لاسـتخدام كل ملكاته الفكريَّـة والعقليـة للوصـول مـع هولمز وواطسـون إلى حقيقة الأمـر، أو حتَّى أن يسـبقهما في التَّوصل للحقيقـة. الطَّريف في شـخصية هولمـز أنَّهـا وعـلى الرغم مـن أنَّها تقدِّم لنا شـخصاً مـن لنـدن في نهايـة القـرن التَّاسـع عـشر إلا أنَّهـا مـن خـلال طريقـة تعاملهـا مـع مـا حولهـا ومـن حولهـا تبـدو شـخصية أكثـر معـاصرة وكأنَّ كونـان دويـل نجـح بتحويلهـا إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهـم مـن شـخصية هولمـز التـي تتسـيَّد كل قصـص كونـان دويل هي شـخصيَّة كاتبهـا التي تشي بشـخص عاش حياتـه كتجربـةٍ عظيمـةٍ تمكَّـن إلى أقصى حـد في تصويرها من خـلال شـخصية هولمـز، أحيانـاً وشـخصية د. واطسـون بصـورةٍ أكـبر وأكثر جـلاء. كما تمكّـن الفنان سـيدني باجيت مـن ابتـداع صـورة نمطيـة محـدَّدة ومشـوِّقة للسـيد هولمز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة ، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 – 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هـذه القضايـا الصَّغـيرة، مُركِـزَةً عـلى القضايـا المشـوِّقة التي تتطلَّـب منـه القيام بتحريك سـاقيه فعـلاً. يتخصَّص هولمز في حـل القضايـا الغريبـة مسـتخدماً قـواه الاسـتثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشـكلٍ دائم في الوسـائط الإعلاميـة المختلفة مرتديـاً قبعـة صائد الأيائـل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسـكاً بعدسـةٍ مكـبرة. ويوصـف هولـمز بأنَّـه سـيدٌ إنجليـزي مـن الطِّـراز الفيكتـوري، طويـلٌ ورشـيقٌ، لـه عينـان حادَّتـان دقيقتـان، وأنـف معقـوف. بالرُّغـم مـن قامتـه النَّحيلـة فـإنَّ قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيَّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديَّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولـمز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنـزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولـمز في لندن شـارع بيكر عنوان B 221.

في أوَّل قصصـه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَـت بعـض

المعلومـات عن خلفيـة هولـمز. قُـدِم في 4 آذار 1881 على أنّه طالـب كيميـاء مسـتقل، لـه مجموعةٌ واسـعةٌ مـن الاهتمامات الجانبيـة، وتقريبـاً؛ فـإنَّ كل هـذه الاهتمامات تصـب في مجرى مسـاعدته ليصبـح خارقـاً في حـل الجرائم. في مغامـرة أخرى مبكِّـرة بعنـوان مغامـرة غلوريـا سـكوت، تتضـح الأسـباب التـي دعت هولـمز إلى العمـل كمحقق خـاص؛ امتـداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامـرة المترجـم الإغريقـي، يقـول هولـمز: أنَّ جدَّتـه كانت شـقيقة الرَّسـام الفرنسي فيرنو. وفي دراسـة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتـبر شـارلوك هولـمز أيضـاً مُحلِّـل شـفرات كـفء، ويقـول لواطسـون: أنا متآلف مـع كل أشـكال الكتابة السريَّة بشـكل جيـد، وأنـا نفسـي مؤلـف كتـاب ثانـوي حـول الموضـوع، حللـت فيـه مائـة وسـتين شـفرة منفصلـة. حُلت إحـدى الشَّـفرات في مغامـرة الرِّجـال الرَّاقصـين، التـي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كـما أظهر هولـمز نفسـه كأسـتاذ في التَّنكر بعـد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء

كرجل يميل إلى النّساء، يتكلّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

لغز الرجل الأحدب

في إحدى ليالي الصَّيف وبعد زواجي بأشهرٍ قليلة، كنت جالساً بجوار المدفأة أدخن غليوني الأخير، وأقرأ رواية ما فيما رأسي يتمايل من النُّعاس بعد يومٍ شاقٍ من العمل.

كانت زوجتي قد سبقتني إلى الطّابق العلوي حيث غرفة النوم وعندما سمعت صوت إغلاق الباب في البهو، عرفتُ أن الخدم أيضاً قد غادروا منذ بعض الوقت.

نهضتُ عن مقعدي عازماً على التَّوجه إلى غرفة النّوم، لكنِّي سمعتُ جرس الباب يرن في هذا الوقت المتأخِّر!

لا يمكن أن يكون الطَّارق في هذا الوقت المتأخر زائراً عادياً. لا بد أن يكون مريضاً قد أقضي الليل بطوله وأنا أفحصه.

توجَّهتُ نحو البهو وفتحت باب المنزل بوجهٍ متجهِّم لتغمرني الدَّهشة برؤية شارلوك هولمز واقفاً ببابي!

قال: صديقي واطسون، تمنَّيت ألا أكون قد حضرتُ بوقتٍ متأخِّر لأتمكَّن من ادراكك قبل أن تنام.

- يا صديقي العزيز، تفضَّل بالدُّخول.

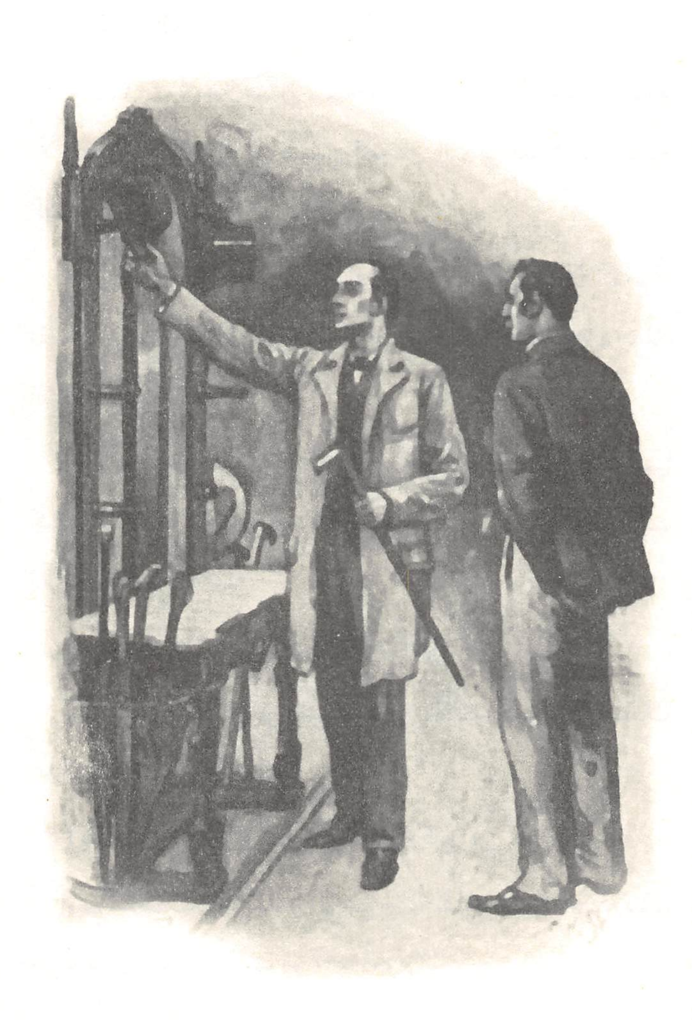
- تبدو مندهشاً وهذا ليس مستغرباً كما يبدو عليك الارتياح على ما أظن. حسناً، إليك الأمر. هل ستتحمّلني هذه اللَّيلة؟

- بكل سرور.

- لقد قلتَ لي أنَّ لديكَ هنا غرفةً إضافيَّة تتسع لشخص واحد، وأرى أنّه لا يوجد في بيتك زوار هذه الليلة كما يظهر من علاّقة القبّعات.

- سأكون مسروراً ببقائك.

- شكراً. سأعلِّق قبعتي إذن على المشجب الشَّاغر. يؤسفني أن أرى أنّ عاملاً كان عندك اليوم في المنزل. إنّ وجوده دليل على حدوث مشكلةٍ ما. آمل أنَّ المشكلة لم تكن في الصّرف الصحي للمنزل.



- بل في الغاز.

- لقد ترك علامتين لمسامير من صندوقه على مشمع الأرضيات عندك في نفس المكان الذي ينعكس عليه الضَّوء الآن.

سألته إن كان يرغب بتناول العشاء فقال: لا شكراً. لقد تناولت عشائي في محطة واترلو، لكني سأتناول معك الشاي بكل سرور.

جلس على المقعد قبالتي صامتاً لبعض الوقت، فيما كنتُ مدركاً تماماً أنَّه ما كان ليزورني بمثل هذا التَّوقيت إلا لأمرٍ بغاية الأهميّة.

فانتظرتُ صابراً كي يخبرني ذلك قبل أن أسأله.

قال وهو ينظر إلي باهتمامٍ: أرى أنَّك مستغرقٌ بعملك هذه الأيام، أليس كذلك؟

أجبته: أجل. كان يومي حافلاً بالكثير من المرضى.

ثم أضفتُ: قد يبدو الأمر سخيفاً برأيك، لكن كيف عرفتَ أنَّ العيادة كانت مزدحمةً اليوم؟!

ابتسم هولمز وأجاب قائلاً: أنا أعرف النّاس بعاداتك يا عزيزي واطسون، فعندما تكون بجولةٍ قصيرةٍ تفضّل المشي لكنَّك تستخدم العربة ذات العجلتين في جولاتك الطّويلة.

وقد لاحظتُ أنَّ حذائك غير متَّسخ بالرغم من أنّه مستَخدَم. وهكذا فقد كنتَ مشغولاً بما يكفي هذه الأيام لتستخدم العربة بشكلٍ كبير.

هتفتُ قائلاً: تمام. هذا تحليلٌ متماز!

قال: إنَّه أمرٌ بسيط. إنَّها ببساطة إحدى الحالات التي يقوم فيها المحلِّل المنطقي بتوليد انطباعٍ قوي في نفس صاحبه.

لكنَّ هذا يحدث فقط لأن صاحبه قد أغفل نقطةً صغيرةً واحدةً تكون هي الأساس في الاستنتاج.

ويمكن أن نصف بشكل مشابه التّأثير الذي تحدثه قصصك الصَّغيرة يا عزيزي والذي هو تأثيرٌ خادع تماماً يعتمد على احتفاظك ببعض حقائق المشكلة أو القضية، بحيث لا تكشفها للقارئ أبداً.

ثمَّ مال بجسده نحو الأمام وأردف قائلاً: وأنا حالياً في مثل موقف أولئك القراء. فأنا أحمل في يدي العديد من الخيوط لواحدة من أغرب القضايا المحيرة. وبالرُّغم من ذلك ينقصني دليل أو اثنان اعتبرهما ضروريان لإكمال وجهة نظري، ولا بد أن أحصل عليهما يا واطسون... سأحصل عليهما بكل تأكيد.

لمعت عيناه وصبغ وجنتيه اللّون الأحمر لبرهة، لكن عندما نظرتُ إليه ثانيةً كان قد استعاد طبيعته المعهودة، ليبدو بارداً كالهنود الحمر.

إنَّ هذه الصّفة بالذَّات التي يتمتع بها تجعل كثيرين ينظرون إليه على أنَّه آلة أكثر مما هو إنسان.

قال: إن القضيّة تطرح الكثير من الدّلائل المثيرة للاهتمام، بل يمكنني وصفها بدلائل استثنائية.

لقد بحثت القضية فعلاً ودرستها، وتوصَلت إلى بداية الحل كما أعتقد، فإذا أحببتَ أن ترافقني في مرحلتها الأخيرة سأعتبر ذلك خدمةً كبيرةً منك.

- سيكون هذا من دواعي سروري.

- هل تستطيع السفر إلى ألدرشوت غداً؟

- نعم. د. جاكسون سيتولّى أمر عيادتي.

- ممتاز. أود أن ننطلق في الحادية عشر وربع من محطة واترلو.

- هذا سيمنحني وقتاً كافياً لأرتّب أوضاعي.

- حسناً إذن. إذا لم يكن لديك رغبةً بالنّوم الآن، سأقول لك ما حدث من تطورات حتّى الآن وما تبقّى لنقوم به.

- كنت على وشك النّوم عندما أتيت، أمّا الآن فقد أصبحتُ صاحياً تماماً.

- سأحاول الاختصار قدر الإمكان لكن مع ذكر كل الحقائق الأساسية المهمة.

من الممكن أنّك قد قرأت بعض التّقارير الإعلاميّة عن هذا الموضوع.

إني أحقق في جريمة قتل المزعومة للكولونيل باركلي في ألدرشوت. باركلي كان أحد عناصر كتائب المونستر الملكيّة.

- لم أسمع بهذه الجريمة من قبل.

قال هولمز: لم تثر الكثير من الاهتمام سوى على المستوى المحلي، حيث انكشفتُ حقائقها منذ يومين فقط. وهي باختصار كالتّالي:

إنَّ كتائب المونستر الملكية كما تعرف واحدةٌ من أشهر الكتائب الإيرلندية في الجيش الملكي البريطاني. وقد برز دورها الهام في حرب القرم بداية الأمر، ثمَّ في التَّصدي للتَّمرد الكبير الذي حدث في الهند.

منذ ذلك الحين أصبحتْ هذه الكتائب مميزة وتلعب دوراً حاسماً في كل حملة تشارك بها.

كان قائدها حتّى يوم الاثنين الماضي الكولونيل جيمس باركلي الذي كان شجاعاً -جدّاً وقد ترقّى من رتبة جندي إلى ملازم من الدَّرجة الثّانية لدوره الشجاع في قمع التَّمرد، ثمَّ تدريجياً أصبح قائداً للكتيبة.

تزوَّج كولونيل باركلي عندما كان برتبة رقيب، وكانت زوجته التي كانت تحمل اسم نانسي ديفوي، ابنة رقيب الشّرف في الكتيبة نفسها.

لا بـد أنَّ بعـض المشـاكل الاجتماعيـة قـد حدثـت عندمـا وجد الزّوجان الشـابان نفسـيهما في الحيـاة الاجتماعية الجديدة التـي انضـما إليهـا. وسرعـان مـا تكيّفا مـع الوضـع، لتحظى السـيدة بـاركلي بشـعبية كبيرة بـين زوجـات ضبَّـاط الكتيبة، كـما حظـي زوجهـا بشـعبيَّةٍ اجتماعيَّـةٍ مماثلـة بـين زملائـه الضبّاط.

يمكننـي أن أضيـف أنَّ السـيدة بـاركلي كانت عـلى درجة كبـيرةٍ مـن الجـمال، ومازالـت تتمتَّع بمقـدارٍ كبيرٍ مـن الجمال والجاذبية حتّى يومنا هذا، وبعد ثلاثون عاماً من الزواج.

كانـت الحيـاة العائليـة للكولونيـل بـاركلي تبـدو وكأنّهـا حيـاة سـعيدة وقـد أكَّـد لي الرائد مـورفي -الـذي كان مصدر معظـم الحقائـق حـول القضيـة- بأنّـه لم يسـمع أبـداً عـن مشاكل تواجه الزوجين.

وبرأيـه فقـد كانت عاطفـة باركلي تجاه زوجتـه أقوى من عاطفتهـا نحـوه، فقد كان يبـدو مضطرباً إذا تغيّـب عنها ليوم أو اثنـين، فيـما كانت هي تبـدو أقل اضطراباً في نفس الظّرف على الرُّغم من تفانيها وإخلاصها لزوجها.

وعلى العموم كان الجميع ينظر إليهما على أنّهما زوجان مثاليان ولم يتوقّع أحد أن تؤدي علاقتهما إلى المأساة التي حدثت.

الكولونيل باركلي نفسه كان يمتاز بصفاتٍ جيّدةٍ. فقد كان جذاباً وعادة ما يكون بشوشاً في تعامله مع الآخرين، رغم أنّه كان يُظهر مقدرةً على الحقد والتّصرف بعنف، لكن هذا الجانب لم يتّضح في تعامله مع زوجته على الإطلاق.

الحقيقة الأخرى التي فاجأت الرائد مورفي وثلاثة ضباط آخرين من الخمسة الذين تحدّثت معهم هي حالة الاكتئاب العميق التي كانت تصيب الكولونيل بين الحين والآخر.

لقد شرح لي مورفي أنّه عندما يكون الكولونيل تحت تأثير هذه الحالة تغيب ابتسامته بلمسةٍ سحريّة ويغرق في حالة اكتئاب عميقةٍ تمتد لأيامٍ متواصلة، ويكون في تلك الفترة بمزاجٍ سيّءٍ جدّاً.

هذه الصّفة إضافة لبعض الإيمان بالخرافات، كانتا

الصفتـان الغريبتان في شـخصية بـاركلي، وقـد لاحظهما جميع زملائـه. وتجلَّـت الصِّفـة الثّانيـة تحديداً بوضـوح لتعبـيره أنّه يكره أن يُترك وحيداً لاسيما في الظلام.

وقـد تسـبَّبت هـذه الصِّفـة التـي تعـود لخـوف في مرحلـة الطفولـة إلى إحراجـه وتـداول كثـير مـن التَّعليقـات والتّخمينات حول شخصيته بين الجنود.

انتقلـت الكتيبـة الأولى مـن كتائـب المونسـتر الملكية وهي الكتيبـة القديمـة رقـم 117 في منطقـة ألدرشـوت لبضـع سـنوات، حيـث اسـتقرّ الضبـاط المتزوجـون في ثكنـات، أمّا الكولونيـل فقـد شـغل طـوال تلـك الفـترة فيلا لاشـين التي تبعد نحو نصف ميل على المعسكر الشمالي.

كان المنـزل مقامـاً ضمـن حديقـة خاصّـة، ويبعـد عـن الشّارع حوالي الثّلاثين متراً من النّاحية الغربية.

كان يقطـن المنـزل إضافـةً إلى آل باركلي سـائق وخادمتان فقط.

لم يكـن لـدى عائلـة بـاركلي أطفالاً كـما لم يكونـا معتادين على وجود زوار مقيمين.

الأحــداث التي وقعــت في لاشــين مســاء الاثنــين الماضي بــين التّاســعة والعــاشرة ليــلاً بالتّفاصيــل؛ هــي أنّ السَّــيدة بــاركلي كانــت تمــلأ فراغهــا بالعمــل مــع جمعيــة القدّيــس جــورج التــي تقــع في شــارع وات، وهــي جمعية خيريــة تركّز على منح الفقراء ملابس مستعملة.

عقــدت الجمعيــة اجتماعاً في ذلك المســاء في السَّــاعة الثّامنة مــا اســتدعى الســيدة بــاركلي أن تبكّــر في العشــاء لتلحــق الاجتــماع، وعنــد مغادرتهــا ســمعها السّــائق تنقــل لزوجهــا بعــض الملاحظــات العاديــة، مؤكّــدة لــه أنّهــا لــن تتأخّــر في الاجتماع.

بعــد ذلك عرّجت بالســيارة على الآنســة موريســون وهي شــابة تعيــش في الفيــلا المجــاورة، لتصطحبهــا معهــا إلى الاجتماع.

اســتمر الاجتــماع لأربعــين دقيقــة، وفي السَّــاعة التَّاســعة والربــع عــادت السَّــيدة بــاركلي بعــد أن أوصلــت الآنســة موريسون إلى منزلها بطريق العودة.

في لاشــين، منــزل آل بــاركلي غرفــة تُســتخدم لاســتقبال

الضُّيـوف، وتقـع مقابـل المدخـل المـؤدِّي إلى المنـزل مبـاشرةً وفيهـا بـاب زجاجـي واسـع يـؤدِّي إلى المـرج العشـبي الذي يبلـغ عرضـه ثلاثـين مـتراً، ويفصلـه عـن الشَّـارع سـياجٌ منخفـض. عندمـا دخلـت السَّـيدة بـاركلي غرفة الاسـتقبال لـدى عودتهـا، كانـت السَّـتائر مغلقـةً لأنَّ الغرفـة مـن النّادر استخدامها مساءً.

أضـاءت السَّـيدة بـاركلي المصبـاح، ثـمَّ رنّـت الجـرس وطلبـت مـن الخادمـة جـين سـتيورات أن تُحضر لهـا على غير العادة كوباً من الشَّاي.

في ذلـك الوقـت كان الكولونيـل يجلس في غرفـة الطّعام، وحين سمع صوت زوجته انضم لها في غرفة الاستقبال.

لقـد رآه السَّـائق يقطـع البهـو متوجهـا إلى هنـاك وبعـد ذلك لم يره أحد على قيد الحياة!

أحـضرت الخادمـة الشَّـاي بعـد عـشر دقائـق، لكنَّهـا فوجئت بسماع صوت سيدها وسيدتها يتشاجران بغضب.

طرقـت البـاب وحاولـت الدُّخـول لتكتشـف أنَّ البـاب مغلقٌ من الدَّاخل.

ركضتْ إلى الطَّابق السفلي لتخبر الطَّباخة، وصعدت المرأتان مجدَّداً يرافقهما السَّائق إلى البهو ليستمعوا إلى النَّقاش الغاضب الذي كان لا يزال مُحتدِماً.

اتَّفقوا جميعاً على أنَّهم لم يسمعوا إلا صوت شخصين من الدَّاخل هما صوت السيد باركلي وزوجته.

وحسب أقوالهم كان صوت باركلي منخفضاً ومتقطِّعاً، بحيث لم يسمع أحد بوضوح ما كان يقول، أمَّا تعليقات السَّيدة فقد كانت مسموعة وهي تفيض بالمرارة والأسى، وحين رفعت صوتها أكثر استطاعوا سماعها بوضوح وهي تصرخ المرة تلو الأخرى: أيُّها الجبان!...

ما الذي يمكن عمله الآن بعد مرور كل هذا الزّمن؟...

أعد لي حياتي...

لن أتحمَّل الحياة معك بعد الآن أيُّها الجبان، أيُّها الجبان!

هذا باختصار ما دار بينهما في غرفة الاستقبال وانتهى النَّقاش بصرخةٍ مُفاجئةٍ مفزعة أطلقها الرَّجل، فيما سُمع صوت اصطدام، وصرخةٌ حادَّةٌ من السَّيدة.



عندها عرف السَّائق أنَّ مصيبةً قد وقعت في الدَّاخل، فأسرع إلى الباب وحاول جاهداً فتحه، فيما الصُّراخ يتعالى في الدَّاخل، لكنَّه فشل بخلع الباب، فيما أصاب الخوف المرأتين بالشَّلل فلم تستطيعا تقديم المساعدة.

وبعد أن يأس من خلع الباب اندفع بسرعةٍ عبر البهو وخرج من المنزل ليلتف، حوله حتَّى وصل إلى المرج العشبي الذي تطل عليه النَّوافذ الزُّجاجيَّة الكبيرة.

كانت إحدى النَّوافذ مفتوحةً وهذا أمرٌ معتاد في الصَّيف فدخل إلى غرفة الاستقبال فوراً.

وعندما أصبح في الدَّاخل كانت سيدته قد توقَّفت عن الصُّراخ وسقطت مغشيٌّ عليها على الأريكة فيما كان الكولونيل صريعاً على الأرض قرب المدفأة والدم يتدفَّقُ من رأسه، فيما ساقيه متكئتين على أحد المقاعد.

كان أول ما خطر ببال السّائق فتح الباب المؤدي للبهو بعد أن أدرك فوراً أنَّه لن يستطيع تقديم شيء للسّيدة.

وتوجَّه إلى الباب لفتحه، لكنَّه لم يجد المفتاح فيه، ولم يستطع العثور على المفتاح في أي مكانٍ بالغرفة، رغم أنَّه

يفترض أن يكون موجوداً بالباب على اعتبار أنَّه كان مغلقاً بالمفتاح.

وهكذا خرج السّائق من الغرفة عبر النّافذة كما دخل، ثمَّ عاد هو وشرطي وطبيب، فقاموا جميعاً بنقل السّيدة المتّهمة الرّئيسية بالجريمة إلى غرفتها وهي ما تزال فاقدةً للوعي.

ثمَّ نقلوا جثة الكولونيل ووضعوها على الأريكة، وتفحَّصوا مكان الجريمة بدقةٍ متناهية.

كانت إصابة العسكري المخضرم القاتلة في الجزء الخلفي من رأسه وبطول بوصتين، تسبَّب بها على ما يبدو ضربة بشيء غير حاد، تبيَّن على الفور أنَّها هراوة من الخشب المحفور ذات مقبض عظمي كانت موجودة جانب الجثَّة.

وبما أنَّ الكولونيل كان يملك مجموعةً كبيرةً من الأسلحة التي أحضرها معه من مختلف البلدان التي خدم فيها، اعتقدتْ الشّرطة أنَّ الهراوة هي إحداها رغم أنَّ الخدم لم يتعرَّفوا عليها على أنَّها واحدةٌ من تذكارات

الكولونيل. لكن إنكارهم معرفتها لم يكن مهمّاً، لأنَّ المنزل كان مليئاً بمثل هذه التّذكارات والتّحف.

أمّا بالنسبة لمفتاح الغرفة فلم يجدوه سواء مع السيدة باركلي أو القتيل أو في أي مكان بالمنزل الأمر الذي أثار الريبة والشّك. وقد فتحوا الباب في نهاية المطاف باستدعاء صانع أقفال محترف.

تلك كانت جميع الوقائع الهامَّة عندما توجّهت ياواطسون إلى ألدرشوت صباح الثلاثاء، بناءً على طلب الرائد مورفي لأساهم بالتّحقيق الذي تقوم به الشرطة.

أعتقد بأنَّكَ ستعترف بأهمية القضية كونها برأيي غير عاديّة، بل تبدو أكثر غرابةً وصعوبةً، رغم أنّها تبدو للوهلة الأولى عكس ذلك.

كان أول ما فعلته استجواب الخدم، لكنّني لم أحصل على شيء جديد غير الذي ذكرتهُ، باستثناء أنّ الخادمة جين ستيورات تذكّرت شيئاً مهمّاً؛ وهو أنَّ سيديها لم يكونا يتشاجران بصوت عالٍ في بداية الأمر، ولم تكن تستطيع سماع ما يدور بينهما، حتّى عادت برفقة الخادمة الأخرى

والسّـائق. وبعد استجواب الخدم تفحّصتُ الغرفة، لكنّي لم أجد فيها جديداً.

أمرٌ واحدٌ في القضية خلّف انطباعاً عميقاً بنفوس الجميع وهو مقدار الألم والرُّعب الذي كان مرتسماً على وجه الكولونيل.

فقد انطبع على وجهه وفقاً لرأيهم أقصى ما يمكن للملامح البشرية حمله من تعابير الخوف والرّعب، وكان لذلك المشهد تأثيراً رهيباً على الخادمتين، لدرجة أنَّ إحداهنَّ فقدت الوعي لدى رؤيته! ربما عرف ما سيصيبه، فحلّ به رعبٌ شديدٌ.

وهذا ما ذهبت إليه الشرطة من تفسيرٍ للأمر. حيث افترضت أنَّ الكولونيل قد شاهد زوجته تشن عليه الهجوم الذي أودى بحياته.

حتّى الإصابة في مؤخرة الرَّأس لم تجعل الشرطة تغيِّر رأيها بهذه النّظرية؛ أي أنَّ زوجته هاجمته من الأمام، فربما كان قد استدار ليتفادى الضَّربة التي وجهتها إليه برأي الشرطة.

بالنّسبة للسيدة باركلي لم يكن من الممكن الحصول على أية معلومات منها لأنّها فقدت رشدها مؤقّتاً، نتيجة نوبة شديدة من الحمّى الدِّماغيّة.

لقد عرفتُ من الشّرطة أنّ الآنسة موريسون، تلك التي رافقت السّيدة باركلي في ذلك المساء إلى الاجتماع الخاص بالجمعية الخيريّة، فقد قالت أنّ السيدة باركلي كانت بمزاج سيِّء لدى عودتها، لكنّها لم تعرف السّبب لذلك.

جلستُ أنفث دخان غليوني وأفكِّر في كل الحقائق والدّلائل محاولاً تمييز الأهم بينها عن تلك التي وقعت مصادفةً.

لم يكن لديَّ أدنى شك أنَّ اختفاء مفتاح الغرفة واحداً من أهم الدّلائل، إذ لا بدَّ أنَّ شخصاً قد أخذه ولم يكن الكولونيل أو زوجته قادرين على ذلك، وهذا واضحٌ بما يكفي، لذلك لا بدَّ من وجود شخص ثالث دخل الغرفة، وهذا الشّخص لم يدخل الغرفة من الباب بل من النّافذة.

لذلك قرّرتُ أن أتفحّص الغرفة والمرج العشبي مرّةً أخرى بدقّة أكبر، لأنَّه لا بد من وجود دليل ما هناك

يكشف سر الشَّخص الغامض.

استخدمتُ يا واطسون كل الأساليب التي أعرفها في هذا التَّحقيق حتَّى تمكَّنتُ من الوصول إلى ما أبغيه.

لقد كان داخل الغرفة شخصٌ ثالثٌ جاء إليها عبر المرج العشبي! وحصلت في هذا الإطار على خمسة دلائل واضحة، كان إحداها موجود على الطّريق الرّئيسي حيث تسلَّق ذلك الشَّخص سور المنزل، ودليلان موجودان على العشب، ودليلان آخران على اللَّوح الزُّجاجي الملطَّخ حيث دخل من النّافذة.

كان يبدو أنَّه أسرع الخُطى عبر العشب حيث كانت علامات أصابع قدميه أكثر عمقاً من آثار كعبيه.

لكن من أثارني أكثر من ذلك الشخص الآخر الذي كان يرافقه.

فقلت بدهشةٍ واستغراب: مرافقه؟!

أخرج هولمز ورقة عريضة من جيبه وبسطها بعنايةٍ على ركبتيه وسألني قائلاً: ما الذي يمكن أن تستنتجه من هذا؟

كانت الورقة مليئة برسومات لآثار أقدام إحدى الحيوانات الصَّغيرة، فقد كان فيها خمس علامات واضحة لباطن قدم الحيوان، ودليل على وجود مخالب وكل الأثر لا يكاد يكون بحجم ملعقةٍ صغيرةٍ!

قلتُ: إنَّها لقدم كلب.

- هل سمعتَ يوماً عن كلب قادر على السِّير على الستائر.

- قردٌ إذن؟

- ولكنَّها لا تشبه قدم القرد.

- ماذا يمكن أن يكون إذن؟

- ليست لكلب أو قط أو قرد أو أي حيوان نعرفه.

حاولت إعادة رسم الآثار مستعيناً بالمقاييس، حيث يوجد هناك أربع طبعات، حين كان الحيوان واقفاً بلا حركة، وكما ترى تبلغ المسافة بين القوائم الأماميّة والخلفية حوالي أربعين سنتيمتراً، أي طول الحيوان 40 سم زائد الذَّيل إذا كان موجوداً.

لكن أرجو أن تنتبه إلى المقاييس الأخرى، فآثار حركته تؤكِّد أنَّ طول خطوته لا يتجاوز طول الإصبع. وهذا دليل على أنَّه حيوان بجسمٍ طويل وقوائم قصيرة.

الغريب أنَّه يمكن أن يسير على السَّتائر، كما أنَّه من الحيوانات اللّاحمة.

- وكيف استطعتَ استنتاج هذا؟

- لأنَّه تسلَّق السِّتارة للوصول إلى قفص الكناري الذي كان معلَّقاً في الجانب الأعلى من النَّافذة.

- إذن ماذا يكون هذا الحيوان؟

- آه لو تمكَّنتُ من معرفة ما هو! فربما ساعدني هذا على حل القضية.

عموماً يمكن أن يكون ابن عرس بالرُّغم من أنَّ المقاييس تؤكِّد أنَّ هذا الحيوان أكبر من أي ابن عرس رأيته في حياتك.

- لكن ما علاقته بالجريمة؟

- لا تزال علاقته بالجريمة غير مفهومة وغامضة. لكنَّنا

وكما تلاحظ أحرزنا تقدُّماً جيِّداً، فقد وصلنا إلى أنَّه كان هناك شخصٌ ثالث يراقب الشِّجار بين الزَّوجين، لأنَّ السَّتائر كانت مرفوعة والمصباح مُضاء داخل الغرفة.

كما أصبحنا نعرف أنَّه قد ركض على العشب مسرعاً ثمَّ دخل الغرفة من النَّافذة المفتوحة مصطحباً معه حيواناً غريباً.

ربما يكون هذا الشخص هو من قتل الكولونيل، ومن الممكن أيضاً أن يكون الكولونيل قد أصيب بالرُّعب بسبب رؤية هذا الشَّخص، وسقط نتيجة ذلك فارتطم رأسه بزاوية إطار المدفأة ومات.

لكن يبقى السؤال المحيِّر، لماذا أخذ ذلك الشَّخص مفتاح الغرفة معه عندما غادرها؟!

فقلت: إنَّ ما توصلتُ إليه حتَّى الآن، زاد الأمر تعقيداً.

- بالضَّبط. لقد أدَّت تلك الاستنتاجات إلى أنَّ الأمر معقد أكثر بكثير مما يبدو.

لقد أمعنتُ التَّفكير بالأمر وتوصَّلتُ إلى قرار أنَّ انظر إلى القضية من زاويةٍ مختلفةٍ.

ثـمَّ نظـر إليَّ بنوعٍ من الشَّـفقة، لأنَّـه أبقاني مسـتيقظاً حتى هـذا الوقـت المتأخِّر وقـال: يبـدو أنِّي جعلتُكَ تبقى مسـتيقظاً لفـترةٍ طويلةٍ دون جدوى يا واطسـون. كان بإمـكاني إخبارك بكل هذا ونحن بطريقنا إلى إلدرشوت غداً.

- شـكراً لـك، لقـد أخبرتني الكثـير بالفعـل ولا يمكنك أن تتوقَّف الآن.

فتابـع هولمـز القصَّـة قائـلاً: كان الوضع جيداً بين السَّـيدة بـاركلي وزوجهـا حـين غـادرتْ المنـزل في السَّـابعة والنِّصف مساءً.

ورغـم أنَّهـا لم تكـن مـن النِّسـاء اللَّـواتي يعرفـن كيـف يُظهِـرنَ عواطفهـن، إلا أنَّ السَّـائق سـمعها تـدردش مـع الكولونيل بطريقةٍ وديَّةٍ قبيل مغادرتها.

مـن المؤكَّـد أيضـاً أنَّهـا ذهبـت إلى غرفـة الاسـتقبال، فور عودتهـا لتتجنّـب رؤيـة زوجهـا وطلبـت الشَّـاي في ذلـك التَّوقيـت، كدليـلٍ عـلى غضبهـا وأخـيراً حـين أتى هـو إليها انفجرت بوجهه بسيلٍ من الاتِّهامات العنيفة.

لذلـك لا بـد أنَّ شـيئاً مهـمَّاً حـدث بـين ذهابهـا وعودتهـا

جعل موقفها من زوجها يتغيَّر بشكلٍ جذري.

وبما أنَّ الآنسة موريسون كانت معها طوال تلك الفترة فلا بدَّ أنَّها تعرف شيئاً رغم إنكارها لذلك.

كان حدسي الأول هو أنَّ بين السيدة الشَّابة والكولونيل علاقةً عاطفيَّةً، وربّما تكون قد اعترفت لزوجته بالأمر، فيما كانتا معاً، ولعلَّ هذا ما حدا بالسَّيدة باركلي للعودة غاضبة وهو يبرِّر أيضاً إنكار الآنسة موريسون حدوث أي شيء.

وهذا افتراض لا يتعارض مع معظم الأقوال والإفادات التي سمعتها من الخدم.

لكن بالمقابل من المعروف أنَّ الكولونيل يحب زوجته كثيراً، إضافةً إلى وجوب الأخذ بعين الاعتبار للتَّدخل العنيف للشَّخص المجهول، وربما لم يكن لهذا التَّدخل أي علاقة بما حدث من قبل.

ليس من السَّهل متابعة أي شخص، لكنّي كنتُ دوماً أميل إلى الافتراض الأول الذي يربط الكولونيل والآنسة موريسون بعلاقة، واقتنعت بالوقت نفسه أنَّ هذه السَّيدة

الصَّغيرة تحمل مفتاح حل هذا اللّغز، خصوصاً لجهة التّحول المفاجئ في مشاعر السيدة باركلي تجاه زوجها.

لذلك بدأتُ أعمل وفق هذه الفرضية وقمت بزيارة الآنسة موريسون وشرحتُ لها رأيي وأنّها هي من تملك الحقائق بين يديها.

وأكّدتُ لها أنَّ صديقتها السيدة باركلي قد تجد نفسها بالسّجن متهمة بجريمة قتل، إذا لم تتضح الأمور بشكلٍ جيِّد.

إنَّ الآنسة موريسون شابة نحيلة القوام بالغة الرِّقة، لها عينان خجولتان، وشعر أشقر، وعرفت أنَّها ذكيّة بما يكفي وتملك تفكيراً سليماً.

فقد جلست تفكر لبعض الوقت في الكلام الذي قلتهُ لها، ثمَّ التفت نحوي بعزم وقالت كلاماً طيباً يمكن تلخيصه بالتَّالي، قالت: لقد وعدت صديقتي أنِّي لن أتفوه بكلمة عن هذا الأمر، والوعد ملزم.

لكنِّي أجد أنَّ من واجبي مساعدتها وهي تواجه هذه التّهمة الخطيرة، لاسيما أنّ عزيزتي المسكينة لا تستطيع

الدِّفاع عن نفسها الآن بسبب مرضها.

لذلك أعتقد أنِّي يجب أن أحل نفسي من العهد الذي قطعتهُ لها، وسأخبركَ بما حدث مساء يوم الاثنين بالتَّفصيل.

لقد حدث ذلك حين كنا عائدتين من اجتماع الجمعية حوالي السَّاعة التَّاسعة إلا ربع. في طريق عودتنا كان يجب علينا المرور في شارع هيدسون.

كانت الحركة خفيفة جداً في الشَّارع ولا يوجد به سوى ضوء واحد على الجهة اليسرى وعندما اقتربنا من الضوء رأينا رجلاً يسير باتِّجاهنا، وكان ظهره منحنياً بشدَّة. كان يعلِّق على كتفه شيئاً ما يشبه الصندوق.

بدا الرجل وكأنّه مشوّه بطريقةٍ ما، إذ كان يسير ورأسه منحني فيما ركبتيه مقوَّستين.

كدنا نتجاوزه حين رفع بصره باتِّجاهنا تحت ضوء المصباح. حينها صرخ بصوتٍ مخيفٍ: يا إلهي. إنَّها نانسي!



ما أن سمعتْ صوته حتّى أصبح وجهها (السيدة باركلي) شاحباً، وكادت أن تسقط مغشيّاً عليها، لولا أنَّ الرجل ذي الهيئة المخيفة أمسك بها.

كنت على وشك أن أصرخ طالبةً النّجدة، إلا أنَّها فاجأتني وتكلَّمت مع الرجل بطريقةٍ مهذَّبة! وقالت له بصوت خائف: لقد اعتقدتُ أنَّك ميت طوال ثلاثين عاماً يا هنري.

قال: لقد كنتُ ميّتاً بالفعل!

كان سماع نبرة الرجل وهو يردِّد تلك العبارة كافياً لدب الرُّعب في قلب أي إنسان.

كان وجهه مخيفاً شديد السُّمرة وهناك لمعة غريبة في عينيه لا تزال تطاردني في أحلامي حتّى اليوم.

كان شعره أشيب كذلك شاربيه، وكان وجهه مجعَّداً ومتغضناً مثل تفاحة ذابلة!

قالت السيدة باركلي: هل يمكنك الابتعاد قليلاً. أنّي بحاجة لمحادثة هذا الرَّجل على انفراد. أرجوكِ لا تخشي شيئاً.

كانت تحاول بكل طاقتها أن تتحدَّث بشكلٍ واضح لكن وجهها كان لا يزال شاحباً، والكلمات لا تخرج من فمها إلا بصعوبةٍ بالغة.

المهم، فعلتُ ما طلبَتهُ مني وابتعدتُ عنهما.

تحدثا معاً لبعض الوقت، ثمَّ تقدَّمت نحوي في نهاية الشّارع وعيناها تلمعان، فيما رأيت الرُّجل تحت ضوء المصباح وهو يلوِّحُ بيده في الهواء بغضبٍ شديدٍ.

لم تنطق بكلمةٍ واحدة حتَّى وصلنا إلى باب المنزل. عندها أمسكتْ يدي وتوسَّلت لي أن لا أخبر أحداً بما حدث. وقالت: إنَّه أحد أصدقائي القدامى. لكن أحواله ساءت كثيراً.

وقامت بتقبيلي بعد أن وعدتها بعدم ذكر الأمر لأحد، ولم أرها منذ ذلك الحين.

لقد أخبرتُكَ الآن يا سيد هولمز الحقيقة التي كتمتها عن الشرطة، لأني لم أدرك حينها أنَّ من مصلحة السيدة باركلي إفشاء هذا الأمر.

هذا كل ما أفادت به الشّابة يا واطسون. كانت إفادتها

بالنسبة لي كما تلاحظ مثل الضوء في مغارة معتمة جداً، فكل ما كان غير مترابط بدا في ترتيبه ومكانه الصّحيح. وتكوَّن لديَّ شعورٌ غامضٌ بتتابع الأحداث.

كان من الواضح أنَّ خطوتي التَّالية بالنسبة لي تتمثَّل بالعثور على ذلك الرجل الغامض الذي خلَّف تأثيراً غير عادياً على السيدة باركلي.

لو كان بقي في إلدرشوت لكان من السهولة بمكان العثور عليه إذ لا يوجد بالمنطقة عدد كبير من المدنيين، وشخص ذو عاهةٍ مثله من السهولة تمييزه.

أمضيت يوماً كاملاً في البحث، وبحلول المساء الذي يُصادف هذا المساء الذي نتحدَّث فيه الآن يا واطسون استطعتُ أن أعثر على ما يقودني إليه.

كان اسم الرّجل هنري وود وهو يستأجر غرفة في إحدى منازل الشَّارع الذي قابل فيه السَّيدتين، وقد انتقل إلى المنطقة منذ خمسة أيام فقط.

قمتُ بالتَّنكر كوكيل تسجيلات، وأجريتُ حواراً رائعاً مع صاحبة المنزل الذي يستأجر هنري غرفةً فيه.

عرفت منها أنَّه يعمل كساحر وممثل فكاهي في الملاهي المخصَّصة لترفيه الجنود ليلاً.

وأنَّه يحمل معه في صندوقه حيواناً يبدو أنّه يُسبِّب الذُّعر لصاحبة المنزل، لأنَّها لم تشاهد حيواناً مثله سابقاً. يستخدم الرجل الحيوان للقيام ببعض الحيل كما تقول.

كما أطلعتني المرأة على تفاصيل كثيرة من حياة هنري وود، مستغربة أن يستطيع التَّمكُّن من الحياة مع كل ذلك التَّشوه الذي يعاني منه، وأنَّه يتحدَّث بلغةٍ غريبةٍ غير مفهومة أحياناً، إضافة إلى أنَّها سمعته مرةً وهو يتأوَّه وينوح ويبكي في غرفته.

حدث ذلك طوال اللَّيلتين السابقتين. ورغم أنَّه مستقيمٌ في تعاملاته المالية إلا أنَّه حين دفع أجرة شهر مقدَّماً أعطى السَّيدة ما بدا لها جنيهاً مزيفاً، حين عرضته عليّ تبيَّن أنّه روبية هنديّة.

وهكذا يا صديقي العزيز ها قد أصبحت الآن على علم بكل ما أعرفه في هذه القضية، كما أصبحتَ تعرف لماذا أنا بحاجةٍ لك في هذه القضية.

لأنّه من الواضح أنَّ الرجل قد تبع السيدتين بعد مغادرتهما، وأنَّه شاهد الشجار بين الكولونيل وزوجته، فاندفع إلى داخل غرفة الاستقبال وتحرر الحيوان الذي كان يحمله في الصندوق، فترك الآثار التي أخبرتك عنها سابقاً.

تعتبر كل هذه النقاط حقائق مؤكَّدة والوحيد الذي يمكن أن يخبرنا ماذا حدث في تلك الغرفة في تلك الليلة هو ذلك الرجل.

- وهل تنوي سؤاله عن ذلك؟

- بالتَّأكيد، لكني أحتاج إلى شاهد أثناء روايته للأحداث.

- وهل أنا الشَّاهد الذي تحتاجه؟

- هذا بعد إذنك. إذا قال لنا ما حدث وروى الحقيقة فسيسير الأمر على ما يرام، أمَّا إذا رفض الكلام فسنضطر إلى إبلاغ الشرطة للقبض عليه.

- ولكن كيف لك أن تكون متأكِّداً أننا سنجده عندما نذهب إلى هناك؟

- لقد اتَّخذتُ الاحتياطات اللازمة. فقد تركتُ أحد

الشُّبان ليراقبه وسوف يبقى ملازماً له أينما ذهب.

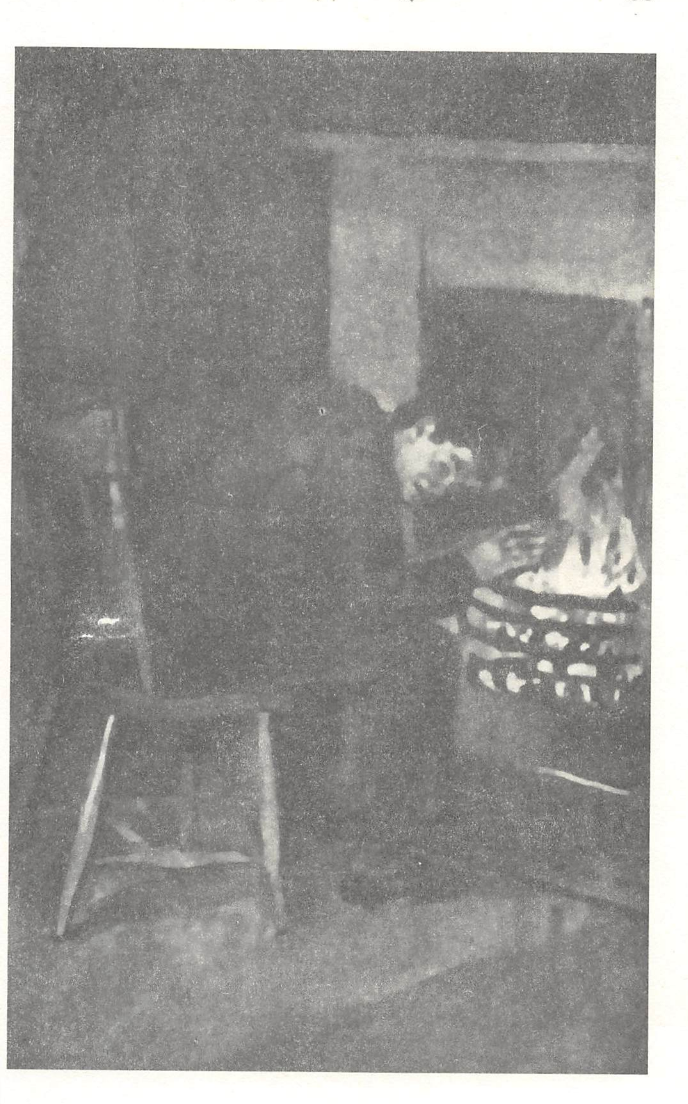
أنا متأكد بأنَّنا سنجده في غرفته بشارع هيدسون غداً ياواطسون، وحتَّى ذلك الوقت سأكون أنا المجرم الحقيقي إن أبقيتُك مستيقظاً بعد هذا الوقت المتأخِّر.

في اليوم التَّالي كان الوقت قد أصبح ظهراً عندما وصلنا إلى المنطقة التي وقع فيها الحادث، فاتَّجه صديقي هولمز إلى شارع هيدسون على الفور.

وبالرغم من قدرته على إخفاء مشاعره إلا أنِّي لاحظتُ بسهولةٍ حالة الانفعال التي يحاول كبتها لديه، فيما شعرتُ أنا بإثارةٍ خفيفة بتحفز ملكاتي وهذه الحالة التي تنتابني في كل مرة أشترك مع هولمز في مغامرة من مغامراته.

وفيما كنا ننعطف في طريقٍ ضيِّقٍ، تتناثر على جانبيه منازل فقيرة ذات طابِقَين، قال لي: هذا هو الشَّارع. آه وهذا هو سيمبسون ليخبرنا بما حدث في غيابي.

صاح فتى صغير وهو يتقدَّم نحونا مسرعاً: إنَّه في الدَّاخل يا سيد هولمز.



فقال هولمز مربتاً على رأس الفتى: أحسنتَ صُنعاً ياسيمبسون. هيا بنا يا واطسون. هذا هو المنزل.

أعطى هولمز الفتى بطاقته مرفقةً برسالةٍ للرجل، يقول فيها أنَّه جاء بأمرٍ هام. بعد دقيقةٍ قابلنا الرَّجل الذي جئنا من أجله.

على الرُّغم من الطَّقس الدَّافئ في الخارج كان الرَّجل منحنياً أمام المدفأة، وكانت الغرفة الصَّغيرة حارّة كأنّها فرن.

جلس على مقعده بطريقةٍ توضِّح أنَّه مُصاب بعاهةٍ ما، وبدا وجههُ مرهَقاً وحزيناً عندما التفتَ ناحيتنا، لكنَّه كان وجهاً ينضح بالوسامة أيام الشَّاب بشكلٍ واضحٍ.

نظر الرَّجل إلينا بابتسامةٍ صفراء وعينين متشائمتين، دون أن يقف، وأشار إلى مقعدين كي نجلس.

قال هولمز بلطف: أعتقد أنَّك السيد هنري وود وقد أتيتَ من الهند مؤخراً. جئتُ إليك لأحدُثكَ بخصوص أمرٍ بسيط متعلِّق بمقتل الكولونيل باركلي.

- وما الذي يجب أن أعرفه بخصوص هذا الأمر؟

- هـذا مـا أودُ التَّأكـد منه. حسـب اعتقادي، أنـت تُدرِك جيـداً أنَّـه مـن المؤكَّـد أن تتـم محاكمـة السيدة بـاركلي بتهمة القتـل مـا لم تتضح الأمـور بطريقـةٍ تبرؤها، وكـما أعرف فهي صديقةٌ قديمةٌ لكَ.

انتفـض الرجـل بعنـف وصاح قائـلاً: لا أعـرف من أنت ولا كيـف توصلـت إلى استنتاجاتك هـذه، لكـن هل تقسـم على صدق ما تقوله؟

- أكيـد. إنَّهـم ينتظـرون حتـى تسـتعيد وعيهـا حتـى يوجهوا لها التّهمة ويقبضوا عليها.

- يا إلهي! أأنت من الشرطة؟

- لا.

- ما علاقتك بالأمر إذن؟

- من واجب كل إنسـان المسـاعدة في الوصول إلى العدالة وتحقيقها.

- أقسم لك إنَّها بريئةً تماماً.

- هل أنت القاتل إذن؟

- لا، أنا لستُ قاتلاً.

- من قتل الكولونيل باركلي إذن؟

- قتلته العدالة الإلهية.

لكن يجب أن تعلم أنِّي لو ضربته على رأسه فقتلته كما تمنيت أنا أن أفعل ذلك لكان هذا أقل ما يستحقه مني، ولو لم يقتله إحساسه بالذَّنب وتعذيب الضَّمير لكنتُ على الأرجح قتلتُه بنفسي.

هل تريد مني أن أقول لكَ قصَّتي معه؟ حسناً لا أدري لماذا لا أفعل ذلك فليس لدي ما أخجل منه.

ثمَّ بدأ الرَّجل قصَّته فقال:

الأمر كالتَّالي يا سيِّدي...

أنتَ تراني الآن وظهري كسنام الجمل، وأضلاعي معوّجة. فيما كان العريف هنري وود (أنا) واحداً من أوسم شبان كتيبة المشاة 117.

كنّا في معسكر بالهند في مكان دعوناه فيما بعد بهورتي وكان باركلي رقيباً في نفس الكتيبة. أما أجمل فتيات الكتيبة

فكانت.. آه، ليس أجمل فتيات الكتيبة بل أرق فتاة على وجه الأرض فقد كانت نانسي ديفوي ابنة الرّقيب الأول في الكتيبة.

لقد أحبَّ نانسي رجلان، فيما أحبّت هي أحدهما، وسوف تتعجَّب حين تنظر إلى هذا الشّيء الجالس أمامك منحنياً أمام المدفأة ثم أخبرك أنَّها أحبَّتني بسبب وسامتي!

حسناً، بالرُّغم من أنَّها كانت تُحبُّني أنا، إلا أنَّ والدها قرَّر تزويجها لباركلي، لأنَّني كنتُ شاباً طائشاً ومتهوِّراً حسب رأيه. أمَّا باركلي فكان متعلِّماً وقد نال وساماً عسكرياً.

لكنَّ الفتاة رفضت مشيئة والدها وتمسَّكت بحبها لي، وكنتُ على وشك الفوز بها مع اندلاع التَّمرد في كافة أرجاء الهند. فقد تمت محاصرتنا في بهورتي. كانت كتيبتنا تضم نصف سرية مدفعية وسرية من الهنود من طائفة السيخ، إضافةً إلى عدد كبير من المدنيين.

كان يحاصرنا حوالي عشرة آلاف متمرِّد يحيطون بنا، والحماسة تُلهب رؤوسهم للنَّيل منا، وكان الوضع كأنَّهم

مجموعة من الكلاب تُحيط بقفص فيه فأر.

في الأسبوع الثاني من الحصار بدأ الماء ينفذ وكانت فرصتنا الوحيدة بالنجاة هي عبر الاتصال بكتيبة الكولونيل نيل المتَّجهة شمالاً.

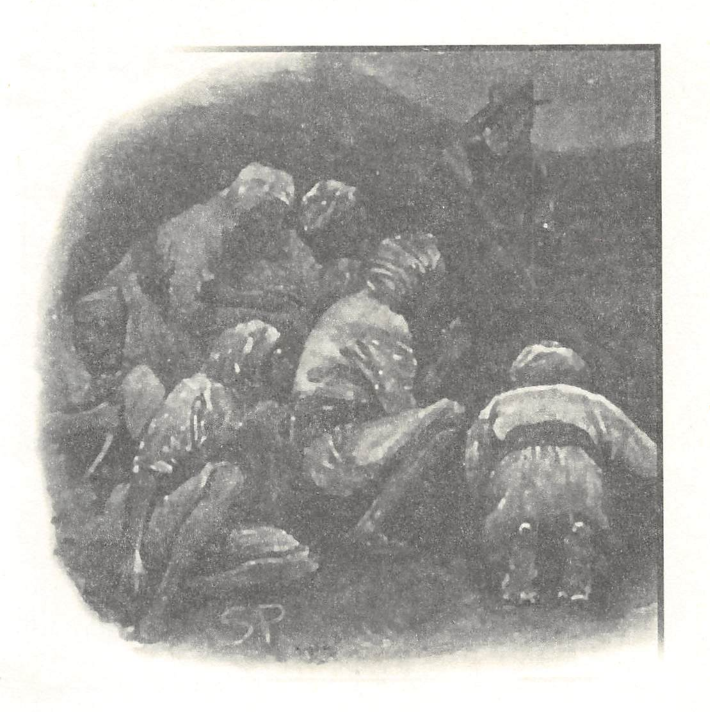
لم يكن لدينا أي فرصة بخرق الحصار من خلال القتال بسبب كثرة النساء والأطفال في صفوفنا، لذلك كان لا بد من الاستعانة بقوات الكولونيل نيل.

تطوعتُ للتَّسلل وطلب النّجدة من الكولونيل نيل.

تمَّ قبول عرضي وناقشتُ الأمر مع الرقيب باركلي الذي كان من المفترض أنَّه يعرف الطريق أفضل من أي شخصٍ آخر، فرسم لي المسار الذي يمكنني من التَّسلل بين خطوط المتمردين.

وفي العاشرة ليلاً من ذلك اليوم بدأت رحلتي.

كان هناك ألف شخص لأنقذهم لكنني لم أفكر إلا بشخصٍ واحدٍ فقط وأنا أجتاز خطوط المتمردين في تلك الليلة.



كان طريقي يسير أسفل مجرى ماء جاف على أمل أنَّه يوفِّر لي مكاناً لا يراني فيه المتمردين، لكن عندما زحفت حول زاويته اصطدمت بستة منهم كانوا مختبئين في الظلام بانتظاري!! وفي لحظة مباغتة تلقيت ضربة شديدة على رأسي ففقدت الوعي وتمّ تقييدي.

كانت الضّربة الحقيقية التي تلقيتها ليست ضربة رأسي بل في قلبي، فعندما استيقظت واستمعت إلى ما أمكنني فهمه من الذين أسروني، أدركتُ أنّ زميلي في السلاح الذي وضع لي مخطَّط المسار الذي سلكته هو الشخص الذي خانني عن طريق خادم هندي أرسله قبل انطلاقي ليخبر المتمردين عن المسار الذي سأسلكه!

حسناً، لا داعي لكي أتوقَّف الآن عند هذه النقطة، فأنتم تعرفون ما يمكن لباركلي أن يفعل.

انكسر الحصار المفروض على بهورتي في اليوم التّالي، وانسحب المتمردون وأخذوني معهم.

مرَّت سنوات كثيرة قبل أن أرى وجهُ إنسانٍ أبيض مرّةً أخرى. لقد عذَّبوني وحاولتُ الفرار فأمسكوا بي وعذَّبوني من جديد وتستطيع أن ترى بنفسك الحال الذي أوصلني له كل ما سبق.

بعد ذلك بفترةٍ فرّ بعض المتمردين إلى نيبال وأخذوني معهم وحين وصلنا إلى دارغلينغ، قام سكَّان التِّلال بقتل المتمردين الذين كانوا يصطحبوني معهم، واحتفظوا بي

عبداً لهم، حتّى تمكَّنتُ من الفرار.

عندما هربت اضطررت إلى التّوجه شمالاً بدلاً من الاتِّجاه جنوباً. واستمريت بالتّقدم حتَّى وصلتُ إلى أفغانستان، وهناك جلت البلاد لعدة سنوات، ثمَّ عدتُ أخيراً إلى إقليم البنجاب، حيثُ قضيتُ ردحاً كبيراً من الزَّمن بين السكان المحليين، وكنتُ أكسب قوتي عن طريق ممارسة الألعاب السحرية التي تعلمتها.

لم أجد أي فائدة بعودتي إلى انكلترا فيما أنا عاجزٌ وتعيس ووجدت أنَّه لا فائدة من إظهار نفسي لزملائي القدامى هناك.

حتَّى رغبتي بالانتقام لم تعد قوية لدرجة تدفعني للعودة، فقد كنت أفضّل أن تعتقد نانسي وأصدقائي القُدامى أنَّني مت وصورة الشاب الوسيم ما تزال في ذاكرتهم، على أن يروني في هذا الوضع وأنا أستعينُ بعصا لأتمكَّن من المشي كأنّي قردٌ ما.

لم يشك أي من زملائي بموتي، وسمعتُ بعد ذلك أنَّ باركلي تزوَّج نانسي، وأنَّه يترقّى في الكتيبة بسرعةٍ، لكن

كل ذلـك ما كان ليجعلني أعـود وأتكلَّم. لقد فقـدتُ الرَّغبة بكل شيء.

لكـن كلَّـما تقدَّم المرء بالسـن، ازداد حنينـه لوطنه، وكانت قـد مـرّت علـيّ سـنوات طويلـة وأنـا أحلـم فيهـا بحقـول انكلـترا الخـضراء، لذلـك قـررت في نهايـة المطـاف أن أرجع إلى بلادي قبل موتي.

وهكـذا ادَّخـرتُ ما يكفـي لنفقات سـفري، ثـمَّ أتيتُ إلى هنـا، حيـث يوجـد جنـود لأنّي أعـرف أسـلوب حياتهـم، وكيف أجعلهم يضحكون، وبذلك أكسب قوتي ورزقي.

عنـد ذلـك قـال هولمـز: إنَّ قصـة حياتـك مثـيرةٌ للاهتمام وقـد سـمعتُ أنَّـكَ قـد التقيت مـع السـيدة باركلي وتعرَّف كل منكما على الآخر.

عندهـا وكـما فهمـت تبعتهـا إلى منزلهـا ورأيت المشـاجرة التـي دارت بينهـا وبـين زوجها مـن نافـذة غرفة الاسـتقبال، حيـث لا شـك أنّهـا واجهتـه بـما فعلـه ضـدك، فغلبتـكَ مشـاعركَ وركضـت عـبر المـرج العشـبي واقتحمـتَ عليهما الغرفة.

- نعم، هذا ما فعلته يا سيدي.

وما أن رآني رأيتُ في وجهه ما لم أره في حياتي بوجه إنسان.

هلع عظيم ممزوج بصدمةٍ، رؤية شيء مستحيل.

ما أن رآني حتَّى سقط ليضرب رأسه في إطار المدفأة.

أنا متأكِّد أنَّه مات قبل سقوطه من تعابير وجهه التي لم أرَ مثلها قبلاً.

لقد رأيتُ الموت على وجهه وكانت رؤيتي بالنِّسبة له كالرَّصاصة التي اخترقت قلبه المذنب فأردته قتيلاً.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- عندها غابت نانسي عن الوعي، فالتقطتُ من يدها مفتاح باب الغرفة لكي أفتحه وأطلب المساعدة، لكن حين هممتُ بذلك فكَّرتُ أنَّه من الأفضل أن أدع الأمر وأهرب، لأنَّ موقفي قد يكون سيئاً وسوف يتم كشف سري إذا أُلقي القبض عليّ.

ولأنَّني كنتُ مرتبكاً ومسرعاً في نفس الوقت فقد

نسـيتُ المفتـاح بجيبي، ثـمَّ التقطتُ عصاي وأنـا أطارد تيدي الذي كان قد تعلَّق بالسِّتارة.

بعـد ذلـك وضعتُـه في الصُّنـدوق الـذي خـرج منـه أصلاً ولذات بالفرار.

فسأله هولمز: لكن من تيدي هذا؟

انحنـى الرجـل فـوق قفـصٍ موجـود في زاويـة الغرفـة وفتح بابه، فخرج حيوان جميل لونه بين بني مائلٌ للحمرة.

كان حيوانـاً نحيـلاً لـه سـيقان تشـبه سـيقان ابـن عرس، ولـه عينـان رقيقتـان جـداً وأنـفٌ طويـل. فصحـتُ عندمـا رأيته: هذا نمس!

قـال الرجـل: حسـناً، البعـض يسـمونه بهـذا الاسـم، أمَّا أنا فأدعوه صيّاد الأفاعي.

إنَّ تيـدي سريـعٌ جداً مـع الكوبرا. لـدي هنا واحـدة حية لكـنَّ أسـنانها منزوعـة، وتيدي يمسـك بها كل ليلـة من أجل تسلية المتفرجين.

ثـمَّ التفـتَ باتّجاه هولمز وقـال: هل من شيءٍ آخر أسـتطيع فعله يا سيدي؟

- حسناً، من المُمكِن أن نطلبكَ ثانيةً إذا كانت السيدة باركلي في ورطة حقيقية فعلاً نتيجة هذا الأمر.

- وفي تلك الحالة لن أتردَّد في مد يد المساعدة.

- لكن إذا لم تتورط السيدة باركلي، أعتقد أنَّه لا داع لنشر هذه الفضيحة ضد رجلٍ ميِّت.

فعلى الرغم من تصرفه الشَّنيع وخيانته، إلا أنَّه يشفي غليلك ويريحك أنَّ ضميره ظلَّ يؤنبه بمرارةٍ طوال ثلاثين عاماً بسبب فعلته الشريرة.

ثمَّ نظر هولمز إلى النَّاحية الأخرى من الشَّارع، وقال: ها هو الرَّائد مورفي. إلى اللقاء يا سيد وود.

أريد أن أعرف إذا حدث تطوراً جديداً في القضية منذ الأمس.

وصلنا في الوقت المناسب لنلحق الرائد مورفي قبل وصوله إلى زاوية الشَّارع، وحين التقى بنا قال: هولمز. هل عرفت أنَّ كل هذه الضَّجة انتهت إلى لا شيء؟

- ماذا حدث؟



- لقد تمَّ إغلاق التَّحقيق الآن.

لقد أثبت الفحص الطبي أن الكولونيل مات نتيجة جلطة دماغيَّة.

لقد كانت قضية بسيطة رغم الغموض الذي كان يشوبها.

قال هولمز مبتسماً: أجل كانت قضية عادية جداً.

هيا بنا يا واطسون لا ضرورة لوجودنا في ألدرشوت بعد الآن.

• انتهى •